الفصل الثلاثون

في تربية الدواب ونبات البردي وعمل الورق منه

أما تربية الدواب أو السوائم والطيور فكانت نصب عين الأمة ومنتشرة في جميع القطر لأنه

كما لا يخفى عليها مدار ثروة الأهالى أرباب الاطيان والمشتغلين بالفلاحة والتجارة فكانوا يهتمون بشأنها ويحسنون تربيتها و يستخدمون لها الحكماء البياطرة والخدم ولكل نوع منها رعاة خاصة كالمعز والأوز والغنم ولكل فرقة من الرعاة رئيس مسؤل عنها وكانوا يتغالون في حسن تربيتها سيما الثيران فأنهم كانوا يعتنون بها زيادة عن باقي الحيوانات لما لها من المنفعة وقال بعضهم إنما أهتم المصريون بتربية هذا النوع زيادة عن غيره للتفاخر بنطاحها وتحسين نوعها والإبتهاج برؤيتها .وكان رئيس الرعاة مكلفاً بتمرينها على النطاح واذا حضر الرعاة أو رؤساؤهم لدى سيدهم لتلقي الأوامر وقفوا أمامه بإحتشام وهم واضعون يدهم اليمنى على كتفهم الأيسر علامة على الطاعة وكمال الإمتثال أما يدهم اليسرى فمرسلة تشير بالإحترام ,والظاهر أن سكان الوجه البحري كان لهم شغف عظيم بتربية هذه السوائم المختلفة الأنواع لإتساع أراضيهم وخصوبة مراعيهم وكثرة الكلأ عندهم خلافاً للوجه القبلى فأنه كما لا يخفي واد بين جبلين لا يقوم بحاجة كثرة الماشية ومما يدل على كثرتها والإعتناء بها لوحة وجدت في أحد المقابر بجوار الأهرام مرسوم عليها صورة صاحب القبر كأنه على قيد الحياة واقف يتفقد أحوال ماشيته وهو متمنطق ومتقلد بشريط عريض ينزل من كتفه الأيسر إلى خاصرته اليمنى و بيده عكاز طويل وفوق رأسه راية من القماش المزدوج يحملها خادم ليقيه حر الشمس وبجواره جرو من ابن آوى صغير قد استأنس وصار داجناً وفي عنقه قلادة أو عقد وأمامه خدم أورعاة تسوق أنواع الحيوانات وفوق كل فريق منها رقم واضح به كميته وفي مقدمة الجميع قطيع من الحمير تقدمها جحش صغير وعددها ٦٨٠ وعلى كتف الراعي عكاز عليه جلد حمار مات في الغيط ليطلع سده على صحة موته ثم يتلو ذلك قطيع من الغنم وكميته 974 وخلفه راع حامل في يده سله بما رأس حيوان بلا فرون يظهر من حالها أنها رأس ذئب ثم يتلوه سرب من البقر وعدده ٨٣ 4ثورا ثم 220 مابين بقرة وعجل ثم يتبعه قطيع من المعز وعدده ٢٢٣ 4ووجد على جرف مقبرة أخرى لأحد أغنياء مصر الوسطى أن عدد حميره كان يبلغ ٤١٣٠و بقره ٨٣٠ و يظهر أن بقر الملك كان من أجود الأنواع وأكتشف بعضهم في

مقبرة لأحد وجوه مدينة منفيس صورة خدم وحشم يقدمون قرباناً إلى الميت سيدهم من محصول أرضه و نتاج ماشيته مثل التمر والتين والعجول والأوز والغزال والفاكهة والازهار ومنهم من يقود ثيراناً عظيمة الجرم منها الأبيض والأحمر والأسود وفي أعناقها قلائد بها زينة على شكل نبات البشنين .ومنها اثنان من لونين مختلين موسومان) مدموغان (على فخذهما الأيسر بعلامتين مربعتين سوداوتين مكتوب في أحداهما) المنزل الملوكى نمرة (43 وفي الأخرى) المنزل الملوكى نمرة ٨٦ (وربما كان هذا الرقم يدل على عدد النيران التي كانت من نوع كل ثور عليه هذه الوسمة ومن ذلك يظهر أن ذوي الثروة كانوا يسمون ماشيتهم ويكتبون عليها أسماءهم وعددها وكان من عادتهم أنهم يرسمون صاحب المنزل واقفاً متكئاً على عصا طويلة علامة على الحكم ليمتاز عن باقى خدمه وحاشيته ودلالة على التصرف المطلق في عائلته ومنزله وقد رأينا في لوحة عصير العنب) صحيفة ١ (76صورة الخادمين المنكبين على وجههما أمام سيدهما وهو يعزرهما و يهددهما بالضرب والجلد لما أرتكباه من الجناية و وجد في مقبرة أخرى صورت رئيس الرعاة بلغ سيده عن راع ذبح عجلاً و يقدم له أعضاءه إثباتاً على صحة قوله والراعي يدافع و يجادل عن نفسه ثم طرحوه وجلدوه أمام سيده .ومن المعلوم أنه كلما كثرت الماشية عند قوم كثرت ثروتهم بشرط توفر الكلأ والمرعى وإلا كانت عيلة وفاقة بدل أن تكون سعادة وميسرة وبالجملة كان الأغنياء منهم متمتعين بالترف والرفاهية والأموال وليس ذلك الأثمرة أتعابهم ونتيجة نشاطهم وحسن ادارتهم وإقتصادهم وكدحهم لأكتساب ما يجلب لهم الشرف والسعادة وكانوا يتفرغون بعد شغل يومهم إلى ترييض النفس بسماع الآلات المطربة ورنة الأوتار والأغاني أو مشاهدة رقص الغواني و يقيمون الأفراح والولائم تنشيطاً للروح أو يتسلون بالألعاب المتنوعة كالشطرنج والضامة وغيرهما) أنظر الشكل الآتي لوحة ١ و.(2

(اللوحة الاولى (بها أربعة رجال يلعبون الشطرنج أو الضامة) واللوحة الثانية (به ثلاث نساء راقصات واثنتان يلعبان بالأكرة وستة يضربن على الأوتار والرباب والدف والأخيرة منهّن تشبب بشبابة مزدوجة وعلى رأس بعضهّن أكاليل بأشرطة و بجوارهن غلام صغير بيده غصن يرقص به . وبالتأمل في ذلك وفما تقدم تعلم أنهم تفننوا في كل شئ وماتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وسلكوا ضروبها ومارسوا حلوها ومرها وأكتشفوا سهلها ووعرها وأن جميع الناس مقلدون لهم في كثير من الأمور .وربما إندفع القارئ إلى الوهم ان عدد المواشي المرقومة في مقابر أغنيائهم به تحريف عمدوه لمجرد المبالغة والإطراء بغناهم أو أن الأمر إلتبس على المترجمين فردّاً لهذا الوهم نذكر نبذة وجيزة

عما لبعض الأنكليز من المواشي بلاد أوستراليا لخصناها من كتاب القونتة بوفوار في سياحته ببلاد أوستراليا حيث قال ما ملخصه لما كنت بمدينة ملبورن) احدى عواصم أوستراليا (تعرفت بالمعلم كابل الانكليزي فعرض عليّ السفر إلى محل إقامته بساحل نهر مورّای بوسط صحراء المروج التي بها مواشيه فلبيت دعوته .وركبنا سكة الحديد وقطعنا خمسين فرسخاً وكنا نمر بوسط مروج لا نهاية لآخرها وبها من السوائم والدواب مايخرج عن الحصر لكثرتها وفي 31 يوليه سنة 1866 تركنا سكة

الحديد وركبنا العربة وقطعنا بها السباسب والفدافد وفي أثناء ذلك كنا نخترق سهولاً بها كثير من بقر الوحش الضال في ذلك الفضاء الواسع وكان السراب أو الآل) هو مايظهر وقت القيلولة في السهول الرملية على هيئة بحر أو مدن أو غيرذلك (يعظم تلك الثيران في أعيننا وتارة كان يضاعفها فيجعل الواحد اثنين أو أكثر وأخرى كان يعكس وضعها فيجعل رأسها أسفل ورجليها أعلى كأنها معلقة في الفراغ تسير و هى منكسة وطورا كنا نري على البعد بحيرة قد عكس ماؤها ما على شاطئيها من الأشجار .وكلما دنونا منها بعدت عنا كأنها تهرب أمامنا ومازلنا سائرين حتى جنّ علينا الليل فنزلنا من العربة و أكلنا ما تيسر ثم إلتحف كل واحد منا في ردائه ونام على الأرض الرطوبة بلافرش وغطاء فأحتاط بنا جيش من الحشرات المغرمة بمص الدم وهجمت على أجسامنا ووقعت فيها نهشاً حتى سكرت من خمر دمّنا وكاتبين ذلك نستعجير ولامجير و في الغد ركبنا العربة وسرنا حتى وصلنا محل إقامته في تلك البرارى المنفردة .فرأيت منزله مصنوعاً من الخشب به ثلاثة أروقة مسقوفة بقشر خشب الأكلبتوس) المعروف عند بشجر الكافور (وله هيئة موحشة جداً وأخبرني أنه يسكنه من نحو الثلاث عشرة سنة وأنه عزم على العودة إلى بلاده بعد ستة أشهر لأنه صار غنياً جداً وله من الثيران والبقر آلاف مؤلفة ومن الخيل ما يقرب من الألف وما عنده غير خمسة عشر رجلاً لحفظ جميع هذه المواشي التي ترتع في هذه المروج النضرة إلى أن قال وأخبرني ذات يوم أنه يريد أن يرسل إلى مدينة ملبورن ثمانمائة ثور ليبيعها بها كى توزع على مراكز شركات إستخراج الذهب إلى هناك فركبنا الخيل وكنا ثمانية وبيد كل واحد مناسوط يبلغ طوله نحو الثلاثة أمتار ذو يد قصيرة وخرجنا إلى المروج نجمع الثيران التي كانت ترتع بها وفي ظرف خمس ساعات جمعنا منها نحو الألفين مابين ثور و بقرة ثم إنتخبنا منها كل سمين مكتنز اللحم حتى أتينا على الثمانمائة وأفردناها في ناحية وأقنا عليها الحرس ولما دجى الليل أضرمنا النار حولها إلى الصباح . وكانت طائفة من الرجال تدور بالخيل طول الليل لتمنعه من الفرار إلى المروج ثانياً وقد أخبرني صاحبها أنه يرسل رجاله في كل سنة إلى النزلات البعيدة ليشترى منها العجاف المهازيل عن كل

رأس خمسون أوستون فرنكاً فيقصدون الجهات التي ليس بها الكلأ متوفراً ويأتون بالبقر المهزول فيتركها ترتع في هذه المروج المخضلة العشب فتسمن في مدة قصيرة ثم يبيعها بعد حول بنحو مائة وخمسة وسبعين فرنكاً فوقها وقد بلغ جميع ما أشتراه بهذه الحالة نحو خمسة عشر ألفا مابين ثور وبقرة بمبلغ سبعمائة وخمسين ألف فرنك وباعها بمليونين وستمائة وخمسة وعشرين ألف فرنك فربح من ذلك مليونا وثمانمائة وخمسة وسبعين ألف فرنك أعنى اثنين وسبعين ألفا وثلثمائة ثلاثة وثلاثين جنيهاً مصرياً .وما عدا ذلك فله ألف بقرة من خيار هذا النوع أعدها للنتاج ومائة فرس من جياد الخيل أعدها لهذه الغاية وقد إستنتجت مما سلف أنه سيكون عنده في هذه السنة من نتاج الحيوانات نحو خمسة آلاف من العجول فيكون جميع ماعنده من صنف البقر خمسة عشر ألف رأس ثم إسترسل المؤلف في الحساب والمكسب وضريبة الميري التي يدفعها عن هذه المروج إلى أن قال ماقولك أيها القارئ في خمسة عشر ألف ثور وسبعمائة وخمسة عشر كيلومتر مربع من الأرض جميعها مروج محاطة بالأخشاب تسقى بنهرين بلا مشقة وكلفة فضلاً عما له من الخيل أبعد هذا يكون غنى ومع ذلك فقد سمعت أن هناك ناساً لهم من الدواب أضعاف مضاعفة زيادة عما لهذا الرجل المذكور إنتهى .بإختصار ومن تجول في أرض مصر علم أنها ضاقت عما كانت عليه أيام الفراعنة رغماً عن زيادتها السنوية من فيض النيل) راجع الباب الأول لأنى رأيت سنة1 ٨٩٣ (في شمال مديرية الدقهلية والغربية والبحيرة أراضي فسيحة يسير فيها المسافر أياماً ولياني ليس بها حيوان ولا أثر إنسان وكلها قفراء مسبخة غير صالحة للزرع والسكن وقد علمت أنها كانت في غابر الأزمان معمورة لأني رأيت بها أثر المدن والعمارة ولم تزل أطلالها القديمة وكيمانها العتيقة باقية إلى الآن وبها كثير من الآجر)الطوب الاحمر (والحجارة تأخذ منها البلاد القريبة ما تحتاج إليه لبناء المساكن و السواقي و المساجد و غيرذلك وبعضها باق على حالته إلى الآن لبعده عن البلاد المسكونة ووجدت بها كثيرا من بقايا المعابد القديمة والتماثيل المكسورة مما يدل على أنها كانت في تلك الأعصار عامرة آهلة بالناس ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان هنالك صلاحية الزراعة وجودة في معدن التربة تقوم بمعاش السكان وتكفيهم وفي سنة ١٨٩٢ رأيت في جملة جهات بالصعيد آثار أسوار عريضة جداً مبنية باللبن) الطوب البنى (ممتدة بجوار الجيل الشرقي والغربي فعلمت بأول نظرة أنها بنيت لقصد منع الرمال عن الأرض الزراعية ولما تسلطت يد الزمن على تلك الأسوار وهدمتها زحف الرمل من مكانه وكسا الأرض بثوب أغبر فأقفرت ولحقت بالصحراء المجاورة لها بعد أن كانت خضراء يانعة ذات مدن وبلاد وبذلك ضاع من مصر كثير من أرضها فضاقت عما

كانت عليه كما ذكرنا.

وقد أجمع مؤرخو العرب على أن هذه الأسوار هى بقايا مابنته دلوكه العجوز حول مصر لما خافت على إبنها ويا للعجب كيف تكون عجوزاً ويكون لها ولد صغير تخاف عليه وقال المقريزى نقلاً عن أبي القاسم بن عبدالملك إن دلوكه المذكورة كان عمرها مائة وستين سنة وأنها بنت السور أحاطت به جميع أرض مصر كلها المزارع والمدن والقرى وجعلت دونه خليجاً يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرسة ومسلية وجعلت في كل محرس رجالاً وأجرت عليهم الأرزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس فإذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أي جهة كانت في ساعة واحدة وفرغت من بنائه في ستة أشهر) راجع صحيفة ١٩٩ من الكتاب المذ كور.)

وهذا القول ساقط لأنى رأيت عرض السور يبلغ نحو الثلاثة أمتار فأكثر وإرتفاعه في بعض المحلات والأربعة أمتار ولاشك أنه كان أعلى من ذلك وكيف تيسر لدلوكه المذكورة أن تبنيه على جميع مصر وتحفر خلفه خليجاً أو تعقد عليه القناطر وما فائدة الخليج حينئذ وتتم جميع ذلك في ظرف ستة أشهر مع عدم وجود الرجال لأنهم غرقوا في البر مع فرعون ولم يبق على زعمهم بمصر إلا العبيد والإجراء.

ومن أنفع ما وصل إلينا من مصنوعات القدماء ومدّخراتهم ورق البردي لما أشتمل عليه من العلوم والإعتقادات والصنائع والغزوات وكانوا يصنعونه من النبات المعروف بهذا الإسم ويرسلونه إلى الآفاق ضمن تجارتهم الواسعة لشدة الإحتياج إليه في الممالك القديمة المتمدنة وكان يشتغل بعمله فريق عظيم من الأمة ولهم المعامل والورش الكثيرة بمدينة طيبة ومنفيس وغيرهما من المدن فكان هذا الصنف من أهم صنائعهم وكان طول نباته يبلغ أحيانا إلى عشرة أقدام يعلوه هداب كالشعر لا فائدة فيه وسمكه من أسفله وبوصتين فأكثر) البوصة جزء من إثنى عشر بجزأ من القدم (وكيفية عمل القرطاس منهه وأنهم كانوا يقطعون طرف الساق لعدم صلاحيتهما و يشقونه نصفين طولاً وهو مركب من قشر يغلف بعضه فيقصلونه نبحو منخس وكلما كان الغلاف أقرب إلى المركز كلما إشتد بياضه وحسن ورقه ثم يجففونه في الشمس بنشره عوداً عوداً ثم يعطنونه ويدقونه ويجففونه ثانياً ثم يفرشونه بجوار بعضه كالحصير ويدهنونه بالغراء القوى ويضعون فوقه طبقة ثانية منه بحيث تكون متعاكسة أي متصالبة مع الأولى ويدقونها بلطف فتتفرطح الأعواد وتملأ الأخلية

والفراغ الذي بينها ثم تكبس وتجفف جيدا وتدهن بزيت الشربين أو ما يقوم مقامه ليكتسب اللدونة والملودة ثم يصقلوبه فيصير ناعم الملمس حسن المنظر ويكون به صلابة كافية فيصنعون منه الصناديق والعلب والسلات والأحذية بدل الجلد وغير ذلك أو يدخرونه للكتابة أو للتجارة.

وفي دائرة المعارف النمساوية) الأنسكلوبوديه (ما نصه البردي نبات كانت في الترع والمستنقعات بمصر وبلاد إفريقا وفلسطين وجزيرة صقلية وكان قدماء المصريين يزرعونه ويأكلون جذوره وقلب سيقانه أو يدخلونا في مصنوعاتهم فيضفرون منها أحذية) مداسات (أو يفتلونها حبالاً أو يصنعونها ورقاً وغير ذلك وكيفية عمله هو أنهم كانوا يشقون الساق إلى شظيات ويشقون الشظيات إلى شظيات أخرى ثم يضعونها متعاكسة على بعضها ويجرون عليها جملة عمليات فتصير ورقاً وقد إنعدم هذا النبات الآن من مصر اهـ.

ويوجد الآن في أطلال المدن القديمة أدراج وملفات ربما بلغ طول الدرج الواحد منها ثلاثين قدماً فأكثر مكتوبة بالقلم القديم العامي أو البربائى ومن الأسف أنه بتوالى الأزمان عليه ضاعت مرونته وتصلب بحيث ان أدنى ملامسة تتلفه فينكسر وطالما أتلفت يد الجهلة أوراقاً منه كانت سجلاً للمعارف من ذلك ورقة) تورينو (التي أضرمت في قلب علماء الآثار نار الحسرة لأنها كانت تتضمن ترتيب جميع ملوك مصر لغاية العائلة الثامنة عشرة وماوصلت إلى العلماء حتى صارت جذاذاً وأفلاذاً.

وقال ماريت باشا في كتابه دليل المتفرج) لولم يصب ورقة تورينو ما أصابها إلى أن صارت في أسوأ حال يرثي لها لما كنا كحاطب ليل أو راكب العشواء لايهتدى إلى سواء السبيل وكنا اكتفينا بها عن جدول مانيطون الكاهن المصري الذي لعبت به يد التحريف والمسخ في الكتابة ووضعنا كل ملك من ملوك العائلة الثانية والثالثة في مكانه بلا تردد ولا شبهة لأنها كانت قائمة لولا الذين تعاقبوا على سرير الملك من أول الملك منا لآخر ملك ذكر بها والظاهر أنها ما كانت تتجاوز العائلة الثامنة عشرة ومذكور في أولها ما قاله مانيطون أن الآلهة حكمت مصر قبل قيام الدولة الملوكية الأولى ولايعلم ما بعد هذه العبارة فأنظر كم كانت فائدة هذه الورقة وأحكم بمقدار ما نجم عن تكسيرها من الأسف والحرمان من الفوائد الجمة فانها تمزقت كل ممزق وضاع منها أربع أو خمس قطع ومابقي صار هشيما حتى بلغ مائة وأربعاً وستين قطعة ولايمكن ترتيبها وإحكام وضعها كما كانت و بذلك ضاعت فائدتها وسقطت أهميتها انتهى بإختصار .(وقال في موضع آخر

ما ملخصه) أوصيكم أيها السائحون الزائرون للآثار المصرية أنكم لاتضيعون فرصة بدت لكم في شراء الورق البردي لأنه نفس آثار تقتنى فأن مجموعة الرقاع التي جمعها المعلم هرّيس بالإسكندرية

كانت هذه الصفة واعلموا أن الست أوربيني ماوصلت إلى هذه السمعة التي دوت شهرتها بلاد الانكليز إلا بواسطة ورقة اشترتها صدفة من يد فلاح بمصر وهى الآن بمتحف لندره وبالجملة لايمكن خدمة العلم بأكثر من المحافظة على هذا الورق ونزعه من يد الفلاح الذي لتهاونه به وجهله بحقيقته ينتهى أمره إلى التلف عاجلاً أواجلاً اهـ ملخصاً.(

أقول وطالما وجدت أوراق من هذا النوع وباعها الجاهل ببعض دريهمات فرح بها ثم صارت تعلو قيمتها في يد كل بائع من الأفرنج حتى وصلت إلى حد لا تصور وأنتفع بها العلماء وغيرهم وأحرزتها الدول في دار تحفها وترجمت إلى جملة لغات وعرف منها الطب القديم والآلهيات وغير ذلك من العلوم التي كانت عند القوم وقد استعمل الناس الآن الفت هذا الورق طريقة مناسبة بدون أن يحصل له أدنى تلف وهو أن يؤتى بالدرج منه ويعرض إلى بخار الماء الساخن فيتندّى وتلين صلابته فيفتح شيأ فشيأ مع الراحة إلى أن يتم فتحه ويلصق على قماش أو ورق قوي فلا يصيبه بعد ذلك شئ.

وكانت هذه القراطيس متداولة في كثير من الممالك الأجنبية فقد وجد منها كتب وأسفار مكتوبة باليونانية والرومانية وأوراق عليها معاهدات وإمتيازات محررة من بعض ملوك فرنسا والباباوات بإيطاليا وجميع ما وجد منها بتلك البلاد لا يضاهي ما يوجد الآن ببلاد مصر المحفوظة في الخوابي والجرار بقبور الموتى مسدود عليها بالإحكام مشتملة على الأشغال الإدارية والعلمية والدينية وضروب مختلفة من المواضيع منها ما يشتمل على مايسمى باب الأموات أو قوائم مساحة الأراضي أو جوابات ومراسلات أو ملفات للدعاوى والخصومات التي أقيمت أمام محاكمهم أو حجج العقار وكل ما يكون مستنداً لأحد المتعاقدين من الإتفاقات المدنية فهذه الأوراق عبارة عن دفترخانة القدماء ومنها مايصعد تاريخه إلى زمن موسى عليه السلام أو إلى ماقبله ويقارنة هذه القراطيس بأمين الأوراق المتداولة في أيامنا نجد منها بوناً بعيداً في القوة والصلابة ومنها نوع يعرف بأسم الورق الملوكي وهو رقيق ناعم أرض جهد مصنوع من غلاف قلب النبات وكان يستعمل لكتابة الأمور ذوات البال ثم نوع آخر متوسط الجودة كان يستعمل لكتابة الأشياء العادية والدينية

ومازال استعمال هذا الورق شائعاً بمصر وغيرها إلى أن عرف الناس عمل من الحرق والقطن .وفي القاموس الفرنساوي أن صناعة الورق من الخرق دخلت بفرنسا في القرن العاشر من الميلاد وأهمل عمله إلى آخر القرن الثامن عشر أعني قبل الآن بنحو مائة سنة فقط أي في زمن الثورة بفرنسا وفي دائرة المعارف الهاوية ما نصه لم تدخل عندنا صناعة الورق المتخذ من الخرق إلا في سنة1 ١٩٠ للميلاد أتت إلينا من دولة العرب وكانت أتت لهم من سمرقند وأصلها من بلاد الصين اهـ .وأول من إستعمل هذا الصنف بدواوينه في دولة الإسلام هو الخليفة هرون الرشيد خامس خلفاء بني العباس وكان ذلك في القرن الثامن بعد الميلاد أي قبل الآن بنحو ألف سنة.

وذكر بعض علماء الآثار أن نبات البردي أنقطع من مصر لعدم لزوم إستعماله بها كباقي النباتات التي إنقطعت منها ولا يوجد منه الآن إلا في بلاد الحبشة التي هي وطنه الأصلي والظاهر أنه كان يشتمل على مادة سكرية أو طعم لذيذ بدليل قول المؤرخين أنه كان مستعملاً في صناعة الورق وفي الأكل قبل أن يدخل قصب السكر بمصر وروى مسپور وأنّ الوجه البحرى كان يمتاز بنبات البردي كما إمتاز الوجه القبلي بالبشنين وقال هيرودوت ومن محصولاتها أى مصر نبات البردى وفي كل سنة يحصدون خلفته من المستنقعات ويرمون برأسها ويأكلون سيقانها نيئة وطولها بعد قطع رأسها نحو ذراع أو بيعونها في الاسواق أما المترفهون وذوو الثروة فلا يأكلونها إلا بعد شيها في الأفران اهـ .ولمارأى ذلك بعض قدماء المؤرخين لقيهم بأكلة البردي ومن زار المتحف المصري أو باقي المتاحف التي بأوربا وجد بها أروقة برمتها مشحونة بهذه الرقاع المتفاوتة في الطول والعرض محفوظة في دواليب من الزجاج أو في ألواح منه معلقة على الجدار وعليها من الرسم والنقش والأشكال والألوان والبهجة والنضارة مايبهر العقل ويحير الفكر وكلها أخذت من أطلال الديار المصرية .

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما وقد حدّوثك فما راء كمن سمعا

وقال شمبليون الشاب رأيت بلاد فرنسا درجاً من الورق البردي يشتمل على مدح رمسيس الأكبر وغزواته البعيدة وجميع نصه مسجع في صورة محاورة ما بين هذا الملك ومعبوداته وهو في غاية الأهمية لما به من الفوائد التاريخية الجمة وقد سمح لي الزمن القصير الذي خصصته لمطالعته أن أتيقن من أنه أحد كنوز التاريخ المصري لأني إستنبطت منه إثنتي عشرة ملكة خضعت لهذا الفاتح من المملكة الأيونيين والأيونيين والليقين واللوقين) وكلهم بقسم آسيا الصغرى (والسودان والعرب

وغيرهم ومنصوص بها أنه أسر رؤساء تلك الممالك وضرب عليها الجزية فنقلت هذه الأسماء كما هى بإعتناء وهي مكتوبة بالخط الأيراطيقي المصري) القلم الدارج العامي (ومافعلت ذلك إلا لاقارن أحرفها بأحرف نفس هذه الأسماء المكتوبة بالقلم البربائي إن كانت متزل باقية على الهياكل المصرية.

بمدينة طبية وأن وجود هذه الورقة غنية عظيمة بل لقية ثمينة وهي مؤرخة في شهر بؤنة في السنة التاسعة من حكم هذا الملك ثم أن المذكور جاء بعد ذلك إلى مصر وأخذ يستطلع الآثار وتسع نصوصها حتى وجد هذه الأسماء بعينها مكتوبة على أحد الجدر الأثرية بالمدينة المذكورة لكنها أوشكت أن تزول بالكلية) هكذا يكون الإشتغال بالعلم وإلا فلا (ولما عاد إلى بلاده عاود الورقة وترجمها فكان ملخصها انا السيتيين) وهي أمة متوحشة كانت تسكن الشمال الغربي من قسم آسيا (تحزبوا على قتال المصريين وانضم إليهم جملة قبائل وعشائر ممن كان يسكن آسيا الغربية وآسيا الصغرى منهم الأيونيون والليقيون وغيرهم فقام رمسيس خطيباً بين جنده يعرضهم و يحرضهم على قتال عدوهم فأجابوه بالدعاء وطيبوا خاطره ووعدوه ببذل الجهد في ملاقاته ثم زحف بهم وساجل خصمه في القتال وكان يقاتل معهم وهو لا يغفل عن تشجيعهم وحثهم إلى أن تم له النصر فصاح قائلاً ها أنا قبضت على رئيس الأعداء أقلعوا عن القتال وكفوا عن الحرب ثم أقام الجند مهرجاناً عظيماً أشهروا فيه سلاحهم ولقبوا ملكهم بأسمى الألقاب الفرعونية .